من وحى انجلترا[1]

نهر الجمال

للأستاذ محمد عبد الغنى حسن

في مقاطعة ديفونشير الجميلة بانجلترا مقامان من الجمال الطبيعي ؛ وأحد هذه المقامين نهر « الأكس » الذي ينبع من مرتفعات ديفور ماراً بمدينة إكستر . وهنا يناجيه الشاعر بهذه الأبيات : -

ألفيتُ فى واديك أُنسا ... وصفاء عيش ليس يُنسى
أمسٌ طوته يدُ الغيـ ... ـوب فمن يردُّ إليَّ أمسا ؟
أودَعتُ تلك الذكريا ... تِ لديك بالكتمان رمسا
فاحفظْ وديعتَك التى ... خُلِسَت من الأيام خلسا..

خلتُ الحياةَ على ضفا ... فك لا تزولُ ولا تضيعُ
فإذا الحياةُ قصيرةٌ ... وإذا البطيء بها سريعُ ..
وإذا الليالى الذاهبا ... تُ لديك ليس لها رجوعُ
لا دامَ يا نهرُ الشتا ... ء بها . ولا بقيَ الربيعُ

سيَّانِ منبعكَ الموشَّى ... بالبدائع أو مصبُّك
أين الذى روَّيتَه ... ماءَ الحياةِ ولا يحبُّك ؟
وعلى ضفاف النيل ظَمْـ ... ـآن مُناهُ لو يعبُّك !
القلبُ بَاحَ بسرِّه ... أفهل يبوحُ اليومَ قلبُك ؟

تلك الهضابُ الحانيا ... تُ على ضفافك لا تزال ؟
وعلى صحيفتك الصفيـ ... ـحة لم تزل تلك الظلالُ ؟
وهل الليالى المُقمِرا ... تُ هناك يُحييها الوصال ؟
حيث القلوبُ تشبُّ جذْ ... وتها ويَستعرُ الخيال ؟

أين الطيورُ الرائحا ... تُ على مياهك والغوادى ؟
تلهو الصغارُ بها وتُط ... عمها الوليدةُ بعضَ زادِ
هى آمناتُ السرب تمْـ ... ـرَح تحت أكناف العباد
هل فرَّقتها اليومَ غا ... رات الوحوش على البلاد ؟؟

(١) من ديوان للشاعر تحت الطبع بهذا العنوان .

يا شعر !

للمرحوم أبى القاسم الشابى

يا شعر ! أنت فم الشعور ، وصرخة الروح الكئيب
يا شعر ! أنت صدى نحيب القلب ، والصب الغريب
يا شعر ! أنت مدامع علقت بأهداب الحياة
يا شعر ! أنت دم تفجر من كلوم الكائنات
يا شعر ! قلبى — مثلما تدرى — شقى مظلم
فيه الجراح النجل يقطر من مغاورها الدم
جمدت على شفتيه أوزار الحياة العابسه
فهو التعيس ، به مرارات القلوب البائسه
أبداً ينوح بحرقة بين الأمانى الهاويه
كالبلبل الفريد ما بين الزهور الذاويه
كم قد نصحت له بأن يسلو وكم عزيته
فأبى وما أصغى إلى قولى ، فما أجديته
كم قلت : صبراً يا فؤاد ! أما تكف عن النحيب !
فإذا تجلدت الحياة تبددت شمل اللهيب
يا قلب . لا تجزع أمام تصلب الدهر الهصور
فإذا صرخت توجعاً . هزئت بصرختك الدهور
يا قلب ! لا تسخط على الأيام ، فالزهر البديع
يصغى لضجات العواصف قبل أنغام الربيع
يا قلب لا تقنع بشوك اليأس من بين الزهور
فوراء أوجاع الحياة عذوبة الأمل الجسور
يا قلب لا تسكب دموعك بالفضاء فتندم
فعلى ابتسامات الفضاء قساوة المتهكم

هل ظلَّ منبعك الغزير من الشمال كما رأينا ؟
وهل المصبُّ كما افترقـ ... ـنا فى رُباه أو التقينا ؟
والصخرة الحمراء هل ... بقيتْ كما كانت علينا ؟؟
أين السبيلُ إليك يا ... نهر الأحبة أين أينا ؟؟

محمد عبد الغنى حسن

لكن قلبي وهو مخضل الجوانب بالدموع
جاشت به الأحزان إذ طفحت بها تلك الصدوع
يبكي على الحـــلم البعيد بلوعـــة لا تنجلي
غردا كصداح الهواتف في الفـــلاة يقول لي :
طهر كلومك بالدمـــوع وخلها وسبيلها .
إن للـــدامع لا تضيع حقيرها وجليلها
فمن المـــدامع ما تدمع جارفاً حسك الحياة
يرمي لهاوية الوجود بكل أشـــواك الطفاة
فارحم مضاضته ودع معـــه على أحـــلامه
فلقد قضى الحـــلم البديع على لظى آلامه
ردد على سمـــع الدجى أنات قلبي الواهيـــه
واسكب بأجفان الزهور دموع قلبي الداميه
فلعل قلب الليـــل أشفق بالقـــلوب الباكيه !
ولعل جفن الزهر أحفظ للدمـــوع الجاريه !
كم حركت كف الأسى أوتار ذياك الحنين
فتهاطلت أحزان قلبي في أغاريد الأنين
ولكم أرقت مدامعي حتى تقرحت الجفون
ثم التفت فلم أجـــد قلباً يقاسمني الشجون
فعسى يكون الليـــل أرحم . فهو مثلي ينـــدب
وعسى يصون الزهر دمعي فهو مثلي يسكب
قد قنعت كف السماء المـــوت بالصمت الرهيب
فغدا كأعماق الكهوف بلا ضجيج أو وجيب
يأتي بأجنحة الكون كأنه الليـــل البهيم
لكن طيف المـــوت قاس والدجى طيف رحيم
ما للمنية لا ترق على الحيـــاة الناعمه ! ؟
سيان أفئدة تئن أو القـــلوب الصادحه ؟
يا شعر ! هل خلق المنون بلا شعور كالجماد ؟
لا رعشـة تعرو يديه إذا تعلقـه الفـــؤاد ؟
أرأيت أزهار الربيع وقـــد ذوت أوراقها
فهوت إلى صـــدر التراب وقد قضت أشواقها ؟
أرأيت شحرور الفـــلا مترنما بين الغصون
جمد النشيد بصدره لمـــا رأى طيف المنون ؟
فقضى وقـــد غاضت أغاريد الحيـــاة الطاهره
وهوى من الأغصان ما بين الزهور الباسره
أرأيت أم الطفل تبكي ذلك الطفل الوحيـــد
لمـــا تناوله بعنف ساعد الموت الشديد ؟
أسمعت نوح الباشق الولهان ما بين القبور
يبكي حبيبته فيـــا لصارع المـــوت الجسور ؟
طفحت بأعماق الوجـــود سكينة الصبر الجليـــد
لما رأى عـــدل الحياة يضمه اللحـــد الكنود
فتدفقت لحناً يردده على سمع الدهـــور
صـــوت الحياة بضجة تسمى على شفة البحور
يا شعر ! أنت نشـــيد أمـــواج الخضم الساخره
الناصـــعات ، الباسمات ، الراقصات ، الطاهره .
الـــافرات ، الصادحات ، مع الحياة ، إلى الأبد !
كمرائس الأمل الضحوك يمس ما طال الأمد
ها إن أزهار الربيع تبسمت أكمامها
ترنو إلى الشـــفق البعيد تغرها أحـــلامها
في صـــدرها أمل يحـــدق نحـــو هاتيـــك النجوم
لكنه أمـــل ستلحـــده جبـــارة الوجـــوم
فلسوف تغمض جفنها عن كل أضـــواء الحياة
حيث الظـــلام مخيم في جـــو ذياك السمـــات
ها إنها همـــت بآذان الحيـــاة غريدها
فتلت عصـــافير الصباح صـــداحها وتشيـــدها
يا شعر ! أنت نشيـــد هاتيـــك الزهور الباسمه
يا ليتني مثـــل الزهور بلا حيـــاة واجمه
إن الحيـــاة كئيبـــة مغمورة بدموعها
والشمس أضجرها الأسى في صحوها وهجوعها
فتجرعت كأساً دهاقا من مشمشة الشفق
فتمايلت سكرى . إلى كهف الحياة ولم تفق
يا شعر ! أنت نحيبها لما هـــوت لسباتها
يا شعر ! أنت صداحها ، في موتها ، وحياتها
يا شعر ! يا قيثارة الأحـــلام يا ابن صبابتي
لولاك مت بلوعـــتي وبشقوتي وكآبتي
فيك انطوت نفسي وفيـــك سكبت كل مشاعري
فاصـــدح على قمم الحيـــاة بلوعتي يا طائري

أبي القاسم الشابي